دير القديس أنبا مقار
برية شهيت

في الإرشاد الروحي

حبة الحنطة

للأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

في الإرشاد الروحي

حبة الحنطة

للأب متى المسكين

آسم الكتاب : حبة الحنطة
المؤلف : الأب متى المسكين
الطبعة الأولى : ١٩٧٧
الطبعة الثانية : ١٩٨١
الطبعة الثالثة : ١٩٨٥
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادى النطرون

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨١/١٦٤٩
رقم الإيداع الدولي : ٨—٣٨—٧٣٢٠—٩٧٧

المحتويـــات

حبة الحنطة (١)

«إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمُت فهي تبقى وحدها.»

(يو١٢: ٢٤)

□□□

قال المسيح لليونانيين، قبل الصليب، مَثَل حبة الحنطة ثم بدأ يشرحه:

يوحنا: «من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية.» (يو١٢: ٢٥)

مرقس: «من أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها.» (مر٨: ٣٥)

متى: «من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها.» (مت١٠: ٣٩)

لوقا: «أُذكروا امرأة لوط. من طلب أن يخلِّص نفسه يهلكها ومن أهلكها يحييها.» (لو١٧: ٣٢-٣٣)

+ + +

النفس موضوعة بين الجسد والروح، كما يقول مار إسحق، فهي إما تتحد مع الجسد وتتعاطف معه ضد الروح، وإما تتحد مع الروح وتتعاطف معه ضد الجسد. وهكذا تكون النفس إما جسدانية وإما روحانية. لأن الكتاب يقول إن «الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون.» (غل٥: ١٧)

---

(١) كلمة أُلقيت على الرهبان بدير القديس أنبا مقار في مطلع الصوم الأربعيني عام ١٩٧٤.

النفس هي القاعدة التي تصدر عنها العواطف والتي تحوي الحياة الجسدية. الروح هي القاعدة التي تستقبل التأثيرات الروحية وتعبِّر عنها، والتي تتصل بالله وتحبه.

نحن مطالَبون أن نجعل النفس تنحاز للروح حتى يكون لها حياة أبدية، وإلا فإنها تهلك إذا انحازت للجسد، أي تُحرم من الحياة الأبدية.

الجسد من التراب **وإلى التراب يعود ويموت**، لذلك يقول الكتاب إن: «**اهتمام الجسد هو موت**». وأيضاً: «**إن عشتم حسب الجسد فستموتون.**» (رو٨: ٦و١٣)

الذي يلتصق بالفاني يفنى، والذي يجمع حوله الفانيات، سيفنى معها.

الروح التي في داخل الإنسان هي نفخة من الله وهي التي تجعل الإنسان نفساً حية ذات جسد حي.

بالمعمودية يتم الميلاد الجديد للإنسان، المسمى بالميلاد من فوق (لتفريقه وتمييزه عن ميلاد الجسد)، ويتم بحلول الروح القدس داخل الروح واتحاده بها، فتصير روح الإنسان متحدة ومتصلة بالله، لذلك يسمى الإنسان المعتمد للمسيح مولوداً من الله. ويُعطَى سلطاناً أن يسمى آبناً لله. هذا السلطان هو بقوة يسوع المسيح وهو قوة التبني، القوة التي تهبنا حياة التبني لله، والسلوك بالروح حسب وصايا المسيح، والذي يلتصق بالله وينحاز إليه يحيا معه إلى الأبد.

الإنسان المعمَّد، أي المولود من الماء والروح، أي المولود من الله، محسوبٌ أنه مولود من فوق، وهو مدعوٌّ بعد المعمودية ليبدأ حياة حسب الروح، في حين أنه يعيش بالجسد أيضاً.

الجسد بشهواته وغرائزه مخلوق أصلاً على غير فساد ومهيأ ليخضع لقانون الروح وينضبط بالروح دون أن يفقد شيئاً قط من شهواته وغرائزه الطبيعية، بل على العكس إذا خضع الجسد للروح وانضبط بقيادة الروح، فإنه يصير جسداً كاملاً ومتزناً، ويُزكَّى

لحياة أهدأ وأطول وأسعد (حسب الجسد).

ولكن نظراً لأننا نبدأ حياة الروح بالميلاد الجديد كبداية من الصفر، حيث يكون الجسد قد عاش مدة طويلة بدون ضبط وقيادة من الروح، وتكون شهواته وغرائزه قد خرجت عن مستواها الطبيعي، وحيث يكون الإنسان قد عايش الخطيئة وقبلها في كيانه كله بل واتحد بها زمناً طويلاً (والخطيئة في طبيعتها هي جسدية ونفسانية وتقوم أصلاً على تعدّي وصايا الله وبغضة أي قانون روحي يحد من حرية تلذذ الجسد، وكبرياء النفس)، لذلك أصبح البدء بالحياة الروحانية بعد الميلاد الجديد بمقتضى قوة العهد الجديد التي هي الروح القدس وتحت قيادته، أمراً غير مريح للجسد، ومكروهاً لدى النفس التي تكون قد اتحدت مع الجسد وانحازت لكل غرائزه وشهواته واستمدت منه كبرياءها وحريتها.

وعند هذا الحد المتصارع بين الروح في الإنسان الجديد المولود من الله والمتحد بالروح القدس، وبين الجسد المتمرد والنفس المنحازة له في الإنسان العتيق، يبدأ الإنجيل يضع الوصايا والخطوات العملية لتحرير روح الإنسان الجديد من سطوة الجسد وتحالفه مع النفس، هذين اللذين يكوّنان معاً كياناً واحداً متحداً هو كيان الإنسان العتيق، إنسان الخطية والشهوات والغرور والحرية الكاذبة، حيث تكون فيه النفس هي مركز كل اهتمام الإنسان أي مركز تفكيره وعمله وحبه وبغضته وحزنه وفرحه وسلامه وخوفه ومجده وحتى عبادته!!

فهو يعمل لتمتدح نفسه، وإذا لم تُمتدح نفسه يكره العمل.

وهو يحب لأن نفسه نالت رضاها ومسرتها وكرامتها، وهو يبغض لأن نفسه لم ترتاح ولم تُكرَّم.

يحزن لأن نفسه جُرحت وتألمت وفقدت مصدر سرورها وعطفها، ويفرح لأن نفسه نالت شهوتها ومجدها وملذاتها.

يشعر بالسلام عندما تأمن نفسه للظروف، و يشعر بالخوف عندما تفقد نفسه أمانها.

يحارب و يفاوض و يسهر ويجتهد لتتمجد نفسه، و يكسل و ينام و يكف عن الجهاد والإجتهاد إذا لم يكن وراء ذلك مجد لنفسه.

يعبد و يصلي و يطيل الصلوات و يتقن اللحن والصوت و ينشط في أداء الفرض لتظهر نفسه قديسة وعابدة لتنال من الناس كرامة الإله، و يكف عن العبادة والصوم ويختصر الصلاة و يسرع في التلاوة، و يكسل عن أداء الفرض، إذا لم يكن هناك من يسمع و يشاهد ويمدح و يكرم تألُّه النفس. «لكي يُمجَّدوا من الناس... قد استوفوا أجرهم.» (مت٦: ١٦)

وهكذا تصبح الحياة كلها بكل أعمالها ومسئولياتها الكبيرة والصغيرة والمختصة بالناس أو بالله وقفاً على نفس الإنسان. حيث لا يحصد منها الإنسان في النهاية إلا حفنة من التراب. أما النفس بعد كل هذا الجهاد والعناء فمآلها إلى الهلاك، لأنها تكون قد استوفت مجدها الدنيوي وملذاتها الترابية، فتُحرم من الحياة الأبدية ومجد الله: «الذي يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً.» (غل٦: ٨)

لهذا يقف المسيح إزاء النفس الجسدانية وقفة حازمة أشد الحزم وقاطعة أشد القطع:
ـــ «من يحب نفسه ψυχή يهلكها ومن أبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية.» (يو١٢: ٢٥)

وهكذا يصور لنا المسيح أن «النفس» عدو حقيقي، بل هي العدو الوحيد الذي يقف ضد خلاص الإنسان وعبوره إلى الحياة الأبدية. فالمسيح أمرنا بمحبة أعدائنا، ولكنه أمرنا ببغضة النفس، لأنه يعلم أن بغضة الإنسان لذاته هي المدخل الوحيد إلى أعماق الروح.

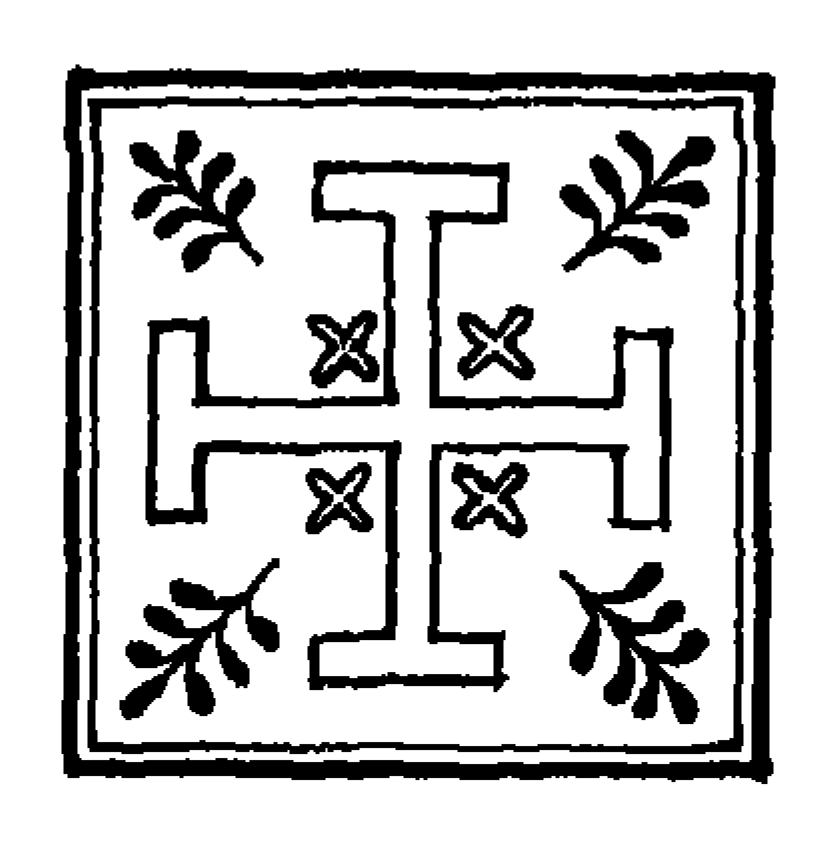
النفس (الذات) غلاف معتم يحجز الروح عن ممارسة أعمال الله ممارسة نقية مثيرة

لنمو الإنسان الجديد الروحاني واتصاله الدائم بالله، لحساب الحياة الأبدية.

فإما تتسلط النفس وتستقطب كل نشاط الإنسان في كل مجالاته الجسدية والنفسية والروحية، وحينئذ يبقى الروح القدس داخل روح الإنسان محبوساً ومطفأً، وإما يقمع الإنسان الجسد وشهواته و يضبط النفس ويجردها من كل سلطانها ويحطها بيديه إلى التراب، وحينئذ ينشط الروح القدس و يتلألأ، وتنبثق روح الإنسان من خلال عتمة الجسد والنفس لتمارس أعمال النور وتبتهج بخلاصها وتحيا لله.

فإما حرية للجسد ومعها حرية للنفس، والإثنان يسوقان الإنسان إلى الفساد والخطيئة والهلاك الأبدي؛ وإما تقييد وقمع وسحق لكل حرية تسوق للفساد والخطيئة فيتحرر الروح و ينطلق ليضيىء.

لا يمكن الجمع بين حرية النفس المتعاهدة مع الجسد، و بين حرية الروح المتحدة بالروح القدس. لابد أولاً أن يتوقف الإنسان العتيق عن نشاطه المفسد وعن حريته التي تؤول حتماً إلى الخطيئة، لكي ينشط الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله ليعيش حسب الله في القداسة والحق.



كيف ينحل الإنسان العتيق ويموت،
ليعيش ويحيا الإنسان الجديد؟

□□□

الإنسان ليس في مقدوره أن يُميت الإنسان العتيق أو يُحيي الإنسان الجديد. الله وحده بيده سلطان إماتة العتيق وإحياء الجديد مائة بالمائة! وهو يبدأ بنفسه في إماتة الإنسان العتيق منذ أول لحظة يتم فيها ميلاد الإنسان الجديد بالمعمودية بالماء والروح القدس، و يستمر في تكميل خطته حتى آخر لحظة من الحياة.

أما الذي يدخل في إختصاصنا من جهة موت الإنسان العتيق وحياة ونمو الإنسان الجديد، فهو يتلخص في:

(أ) **وعي كامل** لما يعمله الله فينا لإماتة العتيق وحياة الجديد لتكميل الخلاص.

(ب) **قبول كامل** لكافة الوسائل التي يختارها الله لتتميم خطته هذه.

(ج) **عدم وضع العراقيل** في طريق الله لتعويقه عن تكميل خطته في الوقت المناسب.

(د) **عدم تزييف عمل الله** فنتظاهر بموت الإنسان العتيق وهو لم يمت، ونتظاهر باكتمال نضج الإنسان الجديد وهو لا يزال طفلاً بل ربما جنيناً.

(هـ) **عدم التسرع في حمل المسئوليات الروحية** قبل أن يتأكد الإنسان من الإمتلاء الروحي.

(و) **الوقوع تحت سلطان كلمة الله الكاشفة** بلا ملل ولا كلل حتى يتم تحرير الروح.

□□□

(أ) الوعي الكامل بخطة الله فينا لإماتة الإنسان العتيق، وحياة الإنسان الجديد

□□□

+ يبدأ الله منذ لحظة الميلاد الجديد بالماء والروح (بالمعمودية) سواء كانت في الصغر ــ حينما يشب الإنسان و يتعرف على معنى التوبة ــ أو في الكبر، بمحاصرة الذات لكبتها ثم إبطال سلطانها، ثم تجريدها وإماتتها.

+ وهذه العملية من أشق ما يمكن، لذلك يستخدم الله كافة الوسائل الممكنة، المباشرة ضد الذات أو غير المباشرة التي تؤثر على الذات من بعيد. مع ضغط الله المتزايد الذي لا يكف ولا يهدأ، تتغير وسائله ولكن لا يتوقف عمله، والهدف واحد وحيد هو تحطيم كبرياء الذات وسلطانها وكسر غلافها الذي يسجن داخله روح الإنسان الجديد.

+ الذات تكون متحصنة في الجسد، فهي لكي تتلافى الضربات التي يسوقها الله عليها تستخدم الجسد فيتمارض و يستعفي، مما يجعل الله يغير وسائله أولاً بأول.

فهو يسلِّط الأب والأم والإخوة في البيت، والأصدقاء في المدرسة والشارع. وإن أخفق في هؤلاء يستخدم الرؤساء والأعداء، والوظيفة والسمعة. وإن أخفق في ذلك يستخدم الطبيعة والحيوانات والحشرات وجميع الظروف. وإن أخفق في ذلك يستخدم الجسد نفسه فيضعفه ويمرضه.

وإن أخفق في ذلك يسلِّم الإنسان ليد الشيطان ليهينه و يؤدب ما عسر على يد الرب الحانية أن تصنعه، فهذا يصنعه الشيطان بلا رحمة!! فيذل الإنسان حتى التراب!!

+ كل هذا والرب يتعامل مع الإنسان العتيق مباشرة، إنما بوسائط مباشرة وغير مباشرة. والذي ألزم الله بهذا كله هو حبه الفائق للإنسان من أجل خلاص نفسه وتوريثه الحياة الأبدية وضمه إليه في مجده... حيث يكون مركز عمل الله في الإنسان هو من داخل روحه التي يسكن فيها، لذلك فإن الله لا يكون غائباً عن الإنسان أثناء كل هذا التأديب والقمع والضرب والضغط المتوالي، فهو يكسر و يعصب، يضرب و يشفي، يميت ليحيي؛ كل ذلك من داخل الإنسان الجديد الذي أحبه واتحد به.

الإنسان في البداية، بسبب جهله و بسبب قلة المرشدين المدربين على قيادة النفوس قيادة مستنيرة بروح الله، يرتبك و يكتئب وتتوه أفكاره في خضم من الظنون: فيحسب أن الله نسيه أو تخلى عنه أو أنه بسبب خطاياه قد فارقته النعمة، ثم إذ يطول الأمر وتطول به سنو التأديب يظن أنه غير مؤهل أصلاً للحياة الروحية. ثم يعود و يلعن الظروف والناس والأهل والأصدقاء والرؤساء معتقداً أنها مجرد حظ سيء أو ظلم أو اضطهاد أو قساوة.

وفي هذا يقف الإنسان أمام الله، مرة معاتباً ومخاصماً، ومرة شاكياً باكياً، ومرة مصلياً صائماً متوسلاً، لعل الأمور تنجلي و يكف الله عن ظلمه واضطهاده!

وهكذا يتصعب الأمر و يزداد مشقة بسبب عدم وعي الإنسان بخطة الله الحكيمة المملوءة حباً ورحمة وحناناً لإبطال الجسد العتيق وسحق النفس العاتية المتكبرة العنيدة التي تعاهدت مع الجسد لهلاك الإنسان جملة وتفصيلاً.

□□□

(ب) قبول كامل لكافة الوسائل التي يختارها الله لتنفيذ خطته لإهلاك الذات

□□□

+ هناك فرق بين أن نعي هذه الخطة الإلهية الحكيمة لخلاص النفس بإهلاك هذه الذات الغاشة المتألهة، و بين أن نقبل وسائل الله في عملية إهلاك الذات، علماً بأن كل هذه الوسائل ليس بينها وسيلة واحدة مقبولة لدى النفس، بل كلها مملوء علقماً ومرارة.

+ أما رفض هذه الوسائل فهو لا يمنع الله من تكميلها، بل كما يقول مار إسحق: [**إن الذي يتذمر على التجارب، تتضاعف عليه**]. أما لماذا تتضاعف عليه؟ فلأن تذمر الإنسان يعني تصلُّب النفس ورفضها الإنكسار تحت تأديب الله، مما يضطر الله إلى تأديب أقسى وأشق!! أما هذه القسوة والمشقة الجديدة التي يضيفها الله إلى وسائله بسبب تذمر النفس وعنادها، فرجعه أيضاً إلى محبة الله المتضاعفة إزاء خلاص الإنسان.

فزيادة التذمر لا تعمل شيئاً إلا في أنها تزيد من رحمة الله، فتزيد الضربات لضمان خلاص النفس.

+ أما قبول وسائل الله هذه بما هي عليه من مرارة وعلقم، فهذا معناه أن الإنسان الجديد المحبوس في الداخل بدأ ينضج و يعي و يسعى لحريته من طغيان النفس وإفسادها لحياة الإنسان.

+ هنا الشكر والصلاة وقبول الضربات والإذلالات والضيقات والمحن والضغوط والأمراض التي يرسلها الله، تعمل على سرعة انكسار النفس وانطلاق الإنسان الجديد؛ حيث يكون معنى ذلك أن الروح بمساعدة الروح القدس بدأت تأخذ سلطانها على النفس وتطرحها إلى الأرض.

(ج) عدم وضع العراقيل التي تعوق الله عن تكميل خطته لإهلاك الذات في الوقت المناسب

□□□

هناك وسائل مضادة كثيرة يقوم بها الإنسان بسبب جهله وعماه لوقف وإبطال وسائل الله لإهلاك الذات. منها:

+ التهرب من قبول التأديب، والفرار من الضيقات، بالممالأة أو الكذب أو الرشوة أو الإنتقال من الوظيفة أو المكان أو البيت أو الطلاق أو المحكمة أو الإستسلام للباطل أو تغيير العقيدة، أو بتصنُّع الغضب أو استخدام القسوة، كل هذا لكي يتهرب الإنسان من مواجهة التأديب الذي يرسله الله، بميزان وحكمة، لخلاصنا من الذات وعتوها وتألهها!!

+ الشكوى والتظلم وتزكية الذات ضد الوسائل التي يستخدم الله فيها الناس للضغط على الذات وكشف كبريائها لإذلالها وتحطيمها. كل هذا يجعل الناس يقفون في صف الذات ضد الله وضد تصرفاته، مما يغضب الله جداً ويجعله يزداد قسوة على هذه الذات المراوغة. وهذا كله يطيل من الزمن اللازم للإنهاء على سلطان الذات.

□□□

(د) عدم تزييف عمل الله :
فنتظاهر بموت الإنسان العتيق، وهو لم يمت
ونتظاهر باكتمال نضج الإنسان الجديد، وهو لا يزال جنيناً

□□□

هذا يُعتبر أخطر أنواع العراقيل التي نضعها أمام الله، فنصعِّب عليه خطة خلاصنا من الإنسان العتيق، وربما يتسبب في توقف العملية برمتها!!

هنا الذات تتظاهر بموتها لكي لا تموت، وتتقمص الإنسان الروحي الجديد، وتزيف أعماله، لكي تسد الطريق أمامه؛ وتنضم إلى زمرة الروحانيين وصفوفهم، لكي تتجنب كل وسائل الإماتة المناسبة لقامتها.

هذا العمل خطر جداً على الإنسان، لأنه في لحظة يتخلى الله، فيفقد الإنسان قدرته نهائياً على إدراك حقيقة نفسه وغشها وخداعها، لأن العدو يمده حينئذ بقوة ومهارة للتظاهر والغش لإفساد ليس حياته هو فحسب، بل وحياة الآخرين: «ملاحظين لئلا **يخيب أحد من نعمة الله،** لئلا يطلع أصل مرارة و يصنع انزعاجاً **فيتنجس به كثيرون.**» (عب ١٢: ١٥)

أما مواصفات هذه النفس فهي كالآتي:
+ تتكلم عن محبة الله، وليست فيها أية حرارة لمحبة الله. والمخدع يشهد بذلك.

+ تكرز بالصليب والآلام، وليست فيها أية رغبة على تحمل الظلم أو الإهانة أو الألم.

+ تتكلم وتبشر بالقيامة وبهجة القيامة، وليست فيها أية حركة داخلية تفيد أنها بدأت تقوم من قبر شهواتها وزناها.

+ تكرز وتعظ وتبدي غيرة وحماساً لخلاص الخطاة، وهي من الداخل قلبها كالثلج لا يحس لا بالخطاة ولا بالخطية، ولا بأية غيرة على خلاص الناس.

+ تدَّعي بالتصريح و بالتلميح أنها لا تتكلم من نفسها بل هي نعمة الله المتكلمة على لسانها. وفي كشف الضمير وفي نور الروح القدس يتضح لها وللناس أنها في الحقيقة إنما تحب الوعظ والكلام للظهور وتزكية الذات. وهكذا يتضح أن العمل ليس نعمة، ولكن ذكاء ومهارة ومواهب طبيعية، استخدمتها الذات ضد نعمة الله لكي لا تموت!! واستخدمت كلمة الله ضد الله لكي لا يكمِّل الله خطته لإهلاك الذات، حتى لا يستطيع الله أن يعمل عمله الحقيقي بواسطة الإنسان الروحي الجديد فيها!

+ وهكذا نعلِّم الآخرين، ولا نقبل نحن أي تعليم، وإن قبلنا التعليم فنقبله بعقلنا فقط، لا لكي يؤول التعليم إلى موت الذات، بل لكي يصير ذخيرة عقلية للتعليم لحساب انتفاخ الذات. وهكذا يفلت الإنسان من سيف كلمة الله الكاشفة.

+ نعيش في وسط الإخوة كعضو في جسد المسيح، ولكن لا نحس بأي عضو آخر. لا نئن بأنين الآخرين، ولا نريد أن نحزن بحزن الآخرين، بل على العكس تسعى الذات لترتفع على أكتاف الآخرين وتستغل وجودها في وسط الأعضاء لتتمجد على حسابهم وتترأس عليهم. وهكذا بغبائها وكبريائها تفقد نعمة و بركة الشركة مع القديسين.

قلنا إن الله يتصعَّب عليه جداً كشف مثل هذه الذات وإبطال نشاطها المزيف، حتى يمكنه أن يطلق الروح من سجنها الداخلي.

هنا يلح علينا المسيح جداً أن ننتبه: «هل يجتنون من الشوك عنباً» (مت٧: ١٦)، «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُتْ فهي تبقى وحدها» (يو١٢: ٢٤)، «ليس

أحدٌ يضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق وإلا فالجديد يشقُّه والعتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد.» (لو٥: ٣٦)

الإنجيل يحذِّر:

ـــ «إن ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئاً فإنه يغش نفسه.» (غل٦: ٣)

ـــ «إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك (أي المسيح) ليس له.» (رو٨: ٩)

ـــ «ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عينٍ واحدة العذب والمر؟» (يع٣: ١١)

أما الذي يساعد جداً على هذا التزييف فهو المواهب الطبيعية من ذكاء ومنطق وحيلة واتضاع مزيَّف ومكر وقدرة على تغطية الذات وعدم إظهار نجاساتها وكبريائها وتصنُّع الإتضاع والوداعة بالكلام الرقيق والصوت الواطي.

ولا يدري الإنسان أن باستخدامه الجزئي لهذه المواهب الجسدانية، يسد الطريق على إنسانه الجديد، ويحرم روحه من اندفاق مواهب الروح الصادقة واستعلان نعمة المسيح في وقتها لمجد الله. فبدل أن يُخلي الطريق بموت الذات، حتى يُستعلن فيه المسيح وتتقوى به الكنيسة كفم صادق أمين للروح القدس، بدل ذلك كله يستعلن هو ذاته و يزكّي مواهب نفسه ليتمجد ثم يموت، ويموت معه عمله ومجده في التراب.

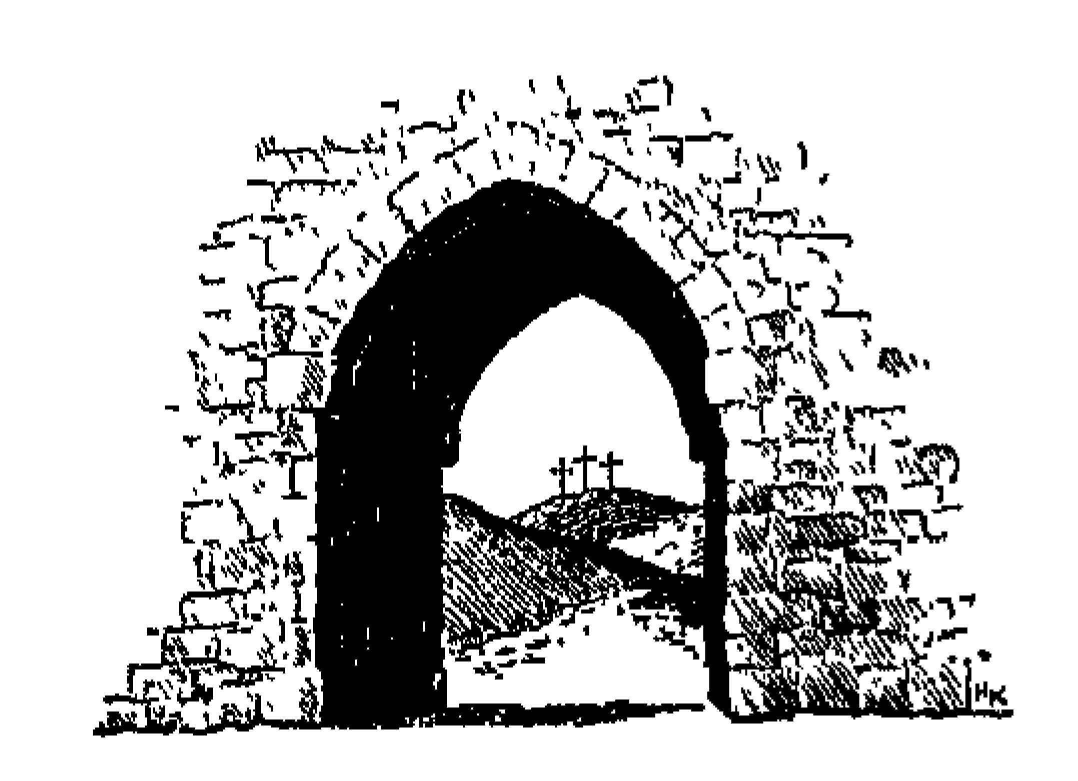
ألا تدري أيها الإنسان أن مواهب النفس الجسدانية تموت بموت الجسد ولا يكون لها جزاء ولا تزكية. ماذا يستفيد الإنسان لو ربح مجد نفسه وخسر مجد المسيح!!؟

أما الذين يظنون أن الكفاءة والقدرة الجسدية من حجة ومنطق ولسان متدرب وذكاء، تكفي لأداء عمل الإنسان الجديد فيكفيهم قول المسيح: «الروح هو الذي يُحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً» (يو٦: ٦٣). هذه الحقيقة تغيب في البداية عن كثيرين، ولكنها تفرض نفسها حتماً في النهاية، حيث يصطدم بها الإنسان بعد أن يرى

كل جهده وعمله الذي بناه بقدراته الذاتية وقد ضاع هباء!

في بداية التزييف يستخدم الإنسان مواهبه الطبيعية في خدمة الله ليظهر أنه صار إنساناً جديداً روحانياً صالحاً للتعليم، وبعد أن يتعتق في التزييف يبدأ يستخدم خدمة الله وخدمة الإنجيل لحساب مجده الشخصي وإظهار عبقريته وقداسته. والقريبون من هذه النفوس يكشفون تورطها في تزييف نفسها و يشفقون عليهم وعلى الكنيسة، لأنه كان يمكن لو أن هذه النفوس خضعت لمعاملات الله واستسلمت لوسائله في كسر عتوها وكبريائها، لاستطاع المسيح أن يتمجد فيها عشرة آلاف مرة، ولانتفعت منها الكنيسة ربوات مرات.

□□□



(هـ) عدم التسرع في حمل المسئوليات الروحية، قبل أن يتأكد الإنسان من الإمتلاء الروحي

□□□

الأسباب التي تدعو إلى التسرع في حمل المسئوليات كثيرة، وأخطرها هو انحطاط المستوى العام للمسئولين وأصحاب الوظائف الكبيرة في الخدمة، مما يسهّل على أي إنسان أن يرى نفسه — إن لم يكن أفضل من رؤسائه — فهو على الأقل ليس من دونهم، وهكذا ينحدر المستوى العام بسرعة مخيفة.

ولكن ما هي النتائج المترتبة على مثل هذا التسرع في حمل المسئوليات قبل أن يموت الإنسان العتيق وتُضبط النفس و يتم الإمتلاء من الروح القدس، حسب شرط الإنجيل الأساسي في حمل المسئوليات؟

أولاً : الإرتباك الروحي :

ومعنى الإرتباك الروحي هو أن الإنسان لبس ثوباً أوسع من إمكانياته، وحمل سلاحاً أثقل من كاهله، ووضع على عنقه نيراً أصعب من إحتماله. وهذا يكشف في الحال أن الإنسان بدأ يخدم خلاص الآخرين قبل أن يكمل خلاص نفسه.

ولكن، بحسب التشخيص الروحي، هذا الإرتباك جاء نتيجة مباشرة للقيام بأعباء روحية بإمكانيات جسدية، فوقع الحمل الروحي لا على الروح بل على الأعصاب والمخ، وهكذا يبدأ الإنسان يئن منذ أول خطوة و يطلب الطبيب بدل أن يطلب المسيح. هذا إذا كان جاداً وأميناً في محاولته لأداء رسالته، أما إذا كانت المسألة إدعاءً ومظاهر، فالأمور تسير جسدانياً في كل شيء.

+ العمل الروحي يلزم أن يقع بكامله على الروح حيث تستمد الروح قوتها وطاقتها من الروح القدس مباشرة. وهذا حينما يكون الإنسان قد بلغ النضج الروحي، أي حينما يكون الإنسان العتيق المدَّعي والمزيِّف لأعمال الله قد مات، وانبثق الإنسان الجديد المؤازَر بالنعمة والمسنود بالروح القدس. وحينئذ يستطيع الإنسان أن يحمل المسئوليات الروحية بلا حدود و يقوم بأشق الأعمال بدون ارتباك.

ــ «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في ٤: ١٣)
ــ «وأما الإنسان الروحي فيَحْكُمُ في كل شيء وهو لا يُحْكَم فيه من أحد.» (١ كو٢: ١٥)

لأن الأعمال الروحية لا تؤذي الروحانيين ولا تربكهم ولا تعوقهم عن خلاصهم، ولكنها تؤذي غير الناضجين بسبب تدخل الإنسان العتيق.

وفي ذلك يقول بولس الرسول صراحة:
ــ «وأنا أيها الإخوة لم أستطِع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين، كأطفال في المسيح. سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم **لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون** لأنكم بعد جسديون» (١ كو٣: ١ــ٣). أما السبب في أنه دعا أعضاء كنيسة كورنثوس أنهم جسديون وأطفال في المسيح فهو لأن «**فيهم حسد وخصام وانشقاق**».

+ وفي موضع آخر يقطع بولس الرسول في أن الذين لم يتخلصوا بعد من سلطان الجسد العتيق يستحيل عليهم القيام بأعباء ناموس الله وخدمة الروحيات، باعتبار أن هذا الجسد سيعوقهم تماماً «إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع.» (رو٨: ٧)

لذلك أصبح انشغال أي شخص بالروحيات، وهو لا يزال مربوطاً بعد بالإنسان

العتيق الذي يعمل على مستوى العواطف الذاتية والأعصاب والكفاءة العقلية والذكاء وسرعة البديهة والهروب من المخاطر وفي غيبة كاملة من عمل الروح القدس، أصبح أمراً مخسراً جداً للمسيح والكنيسة، ولن يخلو من الحسد والخصام والشقاق، كما يقول بولس الرسول!! وبهذا تُهان الروحيات وتلام الخدمة وتكثر العثرات.

ثانياً : أما النتائج المترتبة على التسرع في حمل المسئوليات الروحية قبل موت الإنسان العتيق واكتمال ملء الإنسان الجديد من الروح القدس، فهي تبديد طاقات الإنسان الطبيعية وضياع الوقت سدى في أعمال وأقوال وانشغالات، كلها من اختراعات الإنسان العتيق، في محبة خاطئة، في انسراق من العواطف الجسدية، في طمع وربح باطل، في تعزيات جسدية كاذبة، في محبة أهل، في استغراق في شهوات، في فرح كاذب، في حزن كاذب، في هموم نفسية لا طائل تحتها ولا داعي لها، في غضب مفسد، في عداوة وحسد وخصام، في كلام ورغي بلا لزوم. وهكذا لا يتبقى كرصيد للعمل الروحي إلا ما لا يكفي وما لا يستر.

ومن ذلك يتبين بلا أي إلتباس أو غموض، حتمية الإنهاء على الإنسان العتيق قبل البدء بتحمل أي مسئوليات روحية من أي نوع، وإلا فالمسيح هو الخاسر، والكنيسة هي التي ستظل تعاني من حاملي مسئوليات بلا روح!!

وهنا نضع تحت عين القارىء آيات تنادي الروح من الأعماق:

ــ «اِسمعي يابنتُ وآنظري وأميلي أذنك، وآنسي شعبك و بيت أبيك!!» (مز٤٥: ١٠)

ــ «آذهب من أرضك ومن عشيرتك... وهلم إلى الأرض التي أريك.» (راجع تك١٢: ١)

ــ «الذي وُلد حسب الجسد (الإنسان العتيق) يضطهد الذي حسب الروح (الإنسان الجديد). آطرد الجارية وآبنها لأنه لا يرث آبن الجارية مع آبن الحرة. إذاً أيها

الإخوة لسنا أولاد جاريةٍ بل أولاد الحرة» (غل ٤ : ٢٩ ــ ٣١) = أي لسنا مولودين من جسد ولا من مشيئة رجل بل مولودين من الله. لسنا بعد أولاد «بابا وماما» ولكن أولاد كنيسة مجاهدة، أولاد الصليب والقيامة.



(و) الوقوع تحت سلطان كلمة الله الكاشفة، بلا ملل ولا كلل حتى يتم تحرير الروح

«من أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها.» (مر٨: ٣٥)

□□□

كيف نفرِّط في نفسنا ونطلب هلاكها، إلا إذا كرهناها وأبغضناها؟ وكيف نبغض أنفسنا حسب وصية المسيح، إلا إذا كشفنا بيقين أنها أخطر عدو يتربص بنا لهلاك حياتنا وحرماننا من المسيح والخلاص إلى الأبد؟

ثم كيف نكشف حقيقة أنفسنا ونتأكد أنها عدو خطير إلا تحت قوة كلمة الإنجيل الكاشفة وتحت نور الروح القدس!!

إن أعظم ميراث روحي ثمين تركه لنا المسيح هو كلمته لأنها روحه، «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو٦: ٦٣). روح الله في كلمة الله يفحص كل شيء، و يكشف كل شيء، حتى أعمق أعماق الضمير.

كلمة الإنجيل يصوبها الروح القدس إلى داخل الإنسان، حتى يكشف بها الإنسان أفكار قلبه واتجاهاتها، ونياته وأعماقها!

وهي في دخولها إلى الداخل تكون كالسيف الحاد ذي الحدين الذي يخترق بقوة وجبروت حتى يبلغ مداه، لا يقف أمامه لحم ولا عظم.

ـــ «فإذ نحن عالمون مخافة الرب نُقنِع الناس. وأما الله فقد صرنا ظاهرين له. وأرجو أن نكون قد صرنا ظاهرين في ضمائركم أيضاً.» (٢كو٥: ١١)

ولكن أخطر منطقة تبلغها كلمة الله الكاشفة هي المنطقة بين النفس والروح، حيث يمكن أن تختلط على الإنسان أعمال النفس بأعمال الروح، لأن في هذه المنطقة يعسر على أي إنسان أن يكشف ما هو العمل النابع من النفس المستمد أصلاً من الذات والجسد وأهوائه، وما هو العمل النابع من الروح المستمد من إرشاد الروح القدس ونعمته.

وفي اللحظة التي يكشف الروح القدس بواسطة الكلمة عملاً من الأعمال الروحية التي نتكل عليها ونفرح بها ونفتخر أننا نعملها بالنعمة، فجأة يعلن الروح للضمير أن هذا العمل ليس من عنده، وهو من إيحاء الذات وحدها، وأن كبرياء الإنسان وطموحه هو الذي يغذيه، وليس النعمة. حينئذ تنفضح أعمال النفس وتنفصل عن أعمال الروح، وتبتدىء تنكشف أفكار القلب ونياته بلا مواربة.

ماذا حدث هنا؟

لقد استطاع الروح القدس بواسطة كلمة الإنجيل أن ينفذ من خلال غلاف الذات المظلمة المعتمة المزيفة، ينفذ إلى داخل الروح و يوقظ الضمير الذي خدرته الذات بكذبها وخداعها، ثم يمده ببصيرة وحكمة وإفراز إلهي ليدرك و يفرق بين ما هو باطل وما هو حق، وفي الحال تقع عين الإنسان الروحية على السلوك والأعمال والأقوال التي كانت تدّعيها الذات أنها من الله، فيكتشف أنها أعمال مغشوشة وأسبابها وأهدافها نجسة غير طاهرة ولا مستقيمة!!

وماذا يحدث بعد ذلك؟

بقدر ما يستجيب الضمير لفعل الروح القدس و بقدر قبول الإنسان لهذا الكشف الإلهي بقدر ما تتحرك الروح داخل الإنسان وتنمو وتتشدد وتتقوى، وحينئذ يبدأ الجسد العتيق في التقهقر، تماماً كما تدخل المياه داخل قشرة البندق المدفونة في الأرض من الثقب الصغير الذي في الطبقة الصلبة، و ينفذ إلى الجسم الداخلي فينتفخ، و ينمو، و يضغط على القشرة فيكسرها، وتخرج البادرة الخضراء وتشق الأرض المعتمة إلى النور.

حينما يستيقظ الضمير بقوة الروح بالكلمة التي تنفذ إليه، تتشدد الإرادة الروحية وتتحرك الغيرة ضد الإنسان العتيق وأعماله التي تبدو كريهة كريهة إلى أقصى حد، حتى لا يعود الإنسان يحتملها أو يتصور كيف عاش هذه السنين بهذا الضمير النائم وتحت سطوة هذه النفس القبيحة! وحينئذ يبدأ الروح يتحرر من عبودية الجسد: «إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق، والحق يحرركم. من يعمل الخطية هو عبد للخطية.» (يو٨: ٣١ و٣٢ و٣٤)

مزيد من الكلمة، ومزيد من النور:

بقدر المداومة تحت كلمة الله، يزداد النور الإلهي، و يزداد الإلهام داخل الضمير في حدود ما يمكن عمله للتخلص من العادات والسلوك المخالف للحق الإلهي، وتزداد الأمانة للروح القدس في كل كلمة وكل تصرف.

و بالإستمرار في الوجود في دائرة النور والحق الإلهيين، يبدأ الجسد العتيق يجف و يتقلص وتتوقف حركته شيئاً فشيئاً معطياً المجال للروح الذي يبدأ يستجيب لكل نداءات النعمة بسهولة. و بقدر ما تبدأ الأعمال الروحية مع تصرفات النعمة، بقدر ما تبدأ أعمال الجسد والشهوات تخمد وتتوقف «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨: ١٣)

كلمة الله حية وفعّالة، مزيد من التمسك بالكلمة كسلاح وسراج:

لا يحمل الإنسان همّ تخلصه من إنسانه العتيق، طالما هو أمين جداً للكلمة، الكلمة حية وفعالة، كل ما هو مطلوب من الإنسان أن يقبلها كسيف يفتح لها كل قلبه وكل نياته، و يسلطها على كل فكر وكل تصرف حتى تُكمّل فعلها في القلب والضمير والفكر والإرادة بالنخس الدائم.

+ حينما يقول الكتاب إن كلمة الله حية، فهو يُطمئنّا أنه بمجرد أن نفتح لها ونجعلها تسكن في قلبنا فإنها لن تقف بدون عمل!!

وحينما يقول إنها فعَّالة، فهو يؤكد لنا أنها لن تكف عن الفعل حتى تكمل مشيئة الذي أرسلها: «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له» (إش٥٥: ١١). فقط، تأكد أنك أمين جداً وصادق جداً للكلمة، وأنك تفتح لها باب قلبك بسرور، وتُسكنها في داخلك بصدق وأمانة.

لا يمكن للإنسان العتيق أن يستمر نشاطه في حضرة النعمة، وفي نور الحق الإلهي المسلَّط على الضمير بواسطة الكلمة. بل حتماً سيتناقص نشاطه حتى يتوقف، طالما الكلمة لها سلطانها داخل القلب.

إذن فتمسُّكنا بالكلمة وخضوعنا لحُكمها ونداءاتها وتشجيعها، هو سلاحنا الذي نحارب به، وسراجنا الذي نسير عليه، حتى نخرج من ظلمة الإنسان العتيق إلى نور المسيح وحرية الروح القدس، كأبناء للنور والحق.

علامات صادقة تبيِّن موت الإنسان العتيق

□□□

+ يستحيل يستحيل أن تكون هناك إستنارة صادقة ونعمة فعَّالة لمجد الله مع وجود الإنسان العتيق.

+ وجود أي نشاط للإنسان العتيق يحوِّل الإستنارة إلى دعاية للذات بطرق ملتوية، ويحوِّل عمل النعمة إلى مجد الذات. وهكذا تتلوث الحياة الروحية والخدمة، ويخرج الإنسان من العالم صفر اليدين.

ـ «إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق.» (١يو١: ٦)

ـ «كل من وُلد من الله يغلب العالم.» (١يو٥: ٤)

+ موت الإنسان العتيق يعطي فرصة للروح القدس أن يشهد فينا بقوة الله. وضمن ذلك يشهد في ضمائرنا وضمائر الناس جميعاً أننا أولاد الله بالحق، ليس بالمظاهر والكلمات، ولكن بالسلوك وكل تصرفات الإنسان التي تخرج منه.

ـ «وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا.» (١يو٣: ٢٤)

+ طالما النور الداخلي شَغَّال، فالظلمة بكل أعمالها مكروهة وموبخة ومطرودة بلا هوادة. والضمير حارس نشيط على الحق الإلهي لا يقبل التفريط فيه بأي ثمن ولأي سبب.

ـ «الكل إذا توبخ يُظهَر بالنور، وكل ما أُظهِرَ (الإعتراف) فهو نور.» (أف٥: ١٣)

ــ « إن لم تَلُمْنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله . » (١يو٣ : ٢١)

+ طالما الإنسان العتيق موقوف وممات ، تزداد حساسية الروح ضد أي مجد باطل ، لا بالكلام ولا بالفعل ، إذ يعتبره الروح سرقة هياكل وتجديفاً غير مباشر.

ــ « كيف تقدرون أن تؤمنوا (بالله) وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض ؟ » (يو٥ : ٤٤)

اختبر نفسك هل ترتاح للتكريم والتمجيد؟ هل تضطرب من الإزدراء والإهمال والتقليل من كرامتك ؟ إذن أنت لم تمت بعد.

+ الجسد العتيق ميت معناه أن العبادة دخلت صدقها الإلهي وتخلصت من المظاهر والمجاملات والإستعراضات وتصنُّع التقوى المميت .

ــ «الله روح والذين **يسجدون له فبالروح والحق** ينبغي أن يسجدوا . » (يو٤ : ٢٤)

وهذا معناه كالآتي :

الله لا يتلاقى مع الإنسان قط إلا في روحه ! حيث يصير التلاقي ثابتاً . كل عبادة عقلية أو عاطفية تقف وتتشتت ، أما العبادة بالكيان الروحي الداخلي فلا تتشتت قط ، حيث لا تعود العبادة تتوقف على ما نحفظه بعقلنا ولا ما نؤديه بعاطفتنا ولكن على ما نعيشه بروحنا « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢ : ٢٠)، وتُختبر صدق هذه العبادة بتجارب كثيرة لتتزكى.

اختبر نفسك هل تنشط عبادتك وصلاتك بالمديح ، هل تزداد غيرتك أمام الناس والرؤساء؟ إذن أنت لم تمت بعد.

+ الإنسان العتيق ميت معناه ثبوت دائم في المسيح يزداد ولا ينقص، علامته صلاة

لا تتوقف من القلب، ورغبة مستمرة للسجود بسبب الإحساس بحضرة الرب وليس طلباً لشيء، مع سلام داخلي لا يتزعزع.

+ الإنسان العتيق ميت معناه تلامس قريب ودائم مع الإستعلان القائم في كلمة الإنجيل، كلما يقرأ الإنسان يستنير بلا حدود.

وكل إستنارة تؤدي في الحال **إلى كشف عن نقص كان مستتراً** وحينئذ يستسلم الإنسان في الحال للوقوع تحت توبيخ الحق والرجوع في الحال عن أي انحراف بدون مناقشة ولا اعتذار ولا إهمال. وهذا هو هو الإتضاع العملي تحت يد الله. وهذا هو سبيل الملء الروحي الوحيد.

اختبر نفسك، هل كلمة الإنجيل تزيدك معرفة بخطاياك وتكشف عوار حياتك أولاً بأول؟

+ الإنسان العتيق ميت معناه إرادة حاضرة تحت يد الله، وخوف ملازم للنفس، وحذر شديد حتى لا تحدث أية مخالفة للنعمة المرافقة. وهذا يكون زائداً جداً في بداية الخروج من سلطان الجسد العتيق. ثم تبقى هذه النعمة مرافقة للإنسان مدى الحياة تلهبه ناراً للعبادة والصمت المقدس.

+ عندما يموت الإنسان العتيق، يموت معه الإحساس الشديد بالعالم الخارجي، لذلك لا تعود الأعمال الكثيرة والخدمات المتنوعة قادرة على فصل الإنسان عن الوجود في حضرة الله والإحساس الدائم بالعبادة ورغبة السجود الملحة التي لا تكف. الروح في الداخل يصير في إتصال وود دائم مع الله.

+ بموت الإنسان العتيق لا تعود العواطف والأفكار والإرادة ملكاً للذات، تتلاعب بها الأهواء والنزعات النفسية، وتهبط وترتفع تبعاً للظروف، بل يسيطر عليها الروح القدس و يضبطها لخدمة الخلاص للنفس وللآخرين. وهكذا ينعزل الروح الداخلي عن

ارتباكات العالم و يستمر في الصلاة، وكأن الإنسان أصبح فوق العالم؛ وتتحول كل العواطف والمشيئات لحساب الله.

+ بموت الإنسان العتيق، يأخذ المسيح حريته فينا، و يصير ظاهراً في حياتنا يعلن نفسه كيفما يشاء، يدخل إلينا كلما يشاء في المخدع، في القلب، في الفكر، في الضمير، في الجسد، في الكلام، في الصمت، بلا عائق يتحرك فينا و يتكلم في فمنا، يضيء قلبنا فنرى ما لا يُرى حتى يصبح الإنسان كنزاً مفتوحاً لحساب الكنيسة.

+ بموت الإنسان العتيق، يصبح الإنسان واضحاً للآخرين، مفتوحاً على كل نفس، ملكاً لكل إنسان، صديقاً لكل إنسان، ينساب إلى قلوب الآخرين بمجرد الحديث إليهم، لأن المسيح يمارس فيه وجوده واتضاعه وصبره وحبه. وهكذا يصير الإنسان مصدر فرح و بناء للآخرين، ليس للتسلية والكلام الناعم والعزاء الرخيص، ولكن للتقويم والتهذيب لإماتة الإنسان العتيق في الآخرين.

نصائح أخيرة

□□□

+ يلزم أن يراجع الإنسان نفسه كثيراً **ليتأكد في كل لحظة: أولاً أنه يعيش لله؛ وثانياً أنه ينقاد بروح الله.**

١ ــ أما كيف يتأكد أنه يعيش لله، فذلك ينكشف عند حصر الأعمال والأفكار الداخلية التي يهتم بها القلب وخاصة في المخدع، هل هي لله؟

٢ ــ أما كيف يتأكد أنه منقاد بروح الله، فذاك ليس من النجاح الذي يلاقيه في عمله أو ماله أو في خدمته أو في أقواله أو في قبول الناس له أو تكريمه أو حبه، ولكن في عزائه الداخلي، في دموعه في صلاة المخدع في الخفاء، في صلواته التي بلا تشتت، في سرعة رجوعه واعتذاره عن أي خطأ، في تنازله السريع عن كل شيء دنيوي يعثر الآخرين، في حبه للصمت والإعتزال لمراجعة النفس. هذا كله يثبت أن يد الله مع الإنسان لتكميل خلاصه وأنه منقاد بروح الله.

+ لا يمكن الإنفكاك من الإنسان العتيق إلا إذا بلغ الإنسان اليأس الكامل من الجمع بين **الظلمة والنور، حب الذات وحب الله، تمجيد الذات وتمجيد الله، الكذب والصلاة، النجاسة والعبادة، الطمع أو الطموح والتقوى، العالم والله، الذم أو النم والمحبة، محبة الرئاسة والرهبنة أو النسك.**

+ بدل أن تباغتنا تأديبات الله فنتوجع منها ونستغربها، علينا أن نسرع ونقدم أنفسنا للتأديب والتوبيخ تحت يد الروح القدس معترفين بأوجاعنا الداخلية أمامه بدون غش أو مواربة، حتى نقبل تهذيب النعمة لكسر كبريائنا وتوضيع افتخارنا وتطهير نجاسات قلبنا بنار تأديباته.

عالمين أن وراء تأديبات الله عمليات اختبار وامتحان كلها لضمان خلاص النفس واستيفاء ديونها وإعدادها لملء الروح وتهيئتها للشهادة الصادقة.

+ الإبن المطيع العاقل يكشف عيوبه وأمراضه لأبيه وطبيبه ليشفيه منها، كل منهما بطرقه الخاصة.

+ التلميذ الناجح لا يخفي جهله ولا يتظاهر بالعلم كذباً، وإلا فمآله إلى الصياعة.

+ الإبن يثق في أبيه، وليس له أن يسأله عن كيفية أو منهج تهذيبه.

+ التلميذ لا يسأل مدرسه عن مدى المقررات والمناهج المفروضة.

+ الروح القدس سيعمل فيك عكس ما أنت تعمل مع نفسك تماماً.

أنت كنت تغطيها وتسترها بالأقوال الروحية والأعمال الريائية المقدسة والصوت المتضع المنخفض، والروح سيكشف و يفضح و يعرّي، ليُظهر عيوبك أمام عينيك، والناس إذا لزم الأمر.

أنت كنت ترى في التظاهر بالقداسة منفعة لنفسك، والروح يرى في فضح قداستك الكاذبة خلاصك.

أنت كنت تربي الإنسان العتيق على الكذب والفسق والرياء والكبرياء، والروح القدس لا يربي روحك و ينميها إلا بعد وضع حد لكل أعمال الإنسان العتيق.

+ إذا رفضت وتململت من معاملة الروح القدس لك، تركك ورفع نعمته عنك لتتردى في شهواتك وكبريائك وخطاياك وغشك أكثر فأكثر حتى تتورط جداً، وحينئذ لا تجدي صلاة ولا تجدي دموع أو صوم، وتظل جميع وسائط النعمة بلا ثمر حتى تعترف بمدى عنادك وخطئك، وتعود تنسحق تحت يد الله حتى التراب. لأنه إما أن يسود الروح

القدس وتموت الذات فيقود الروح الإنسان كله في النور، وإما أن تسود الذات و ينحصر الروح و يسير الإنسان من ظلام لظلام.

+ «فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو١٢ : ٣٥) (حيث النور يستمر يكشف النفس).

ــ «الكل إذا توبخ يُظهَر بالنور، وكل ما أُظهر فهو نور.» (أف ٥ : ١٣)

ــ «لماذا لا تفهمون كلامي (معاملات الروح القدس) لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. والذي من الله يسمع كلام الله.» (يو٨ : ٤٣ و٤٧)

ــ «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له.» (رو٨ : ٩)

+ أي تمسُّك ببعض الإنسان العتيق، ببقية من أعمال الظلمة في الخفاء، لا يمكن أن يظل مستوراً، فسوف تظهر في سلوكك عفواً دون أن تدري، فتعطي لروحياتك طعماً مغشوشاً لا يستسيغه أولاد الله و يكشفونه بعد مدة و يعثرون بك عثرة مميتة، فتكتسب غضب الله «و يل لمن تأتي بواسطته العثرة.» (مت١٨ : ٧)

فلا تكن نصف روحاني أو نصف حي أو نصف حار، لئلا يتقيأك الله. لا تمزج كأس الله مع كأس الشيطان، كأس الله هو حياة حسب الروح وكأس الشيطان هو حياة حسب الجسد.

إن أردت أن تتخلص تماماً من إنسانك العتيق، سلم نفسك مرة واحدة للروح القدس لتعيش في النور وارفض أعمال الظلمة و وبخها، اقطع بسكين حاد عادات الإنسان العتيق وأهواءه ومزاجه وأفكاره، لا تشفق على من يريد هلاك روحك وحبسك في ظلام الموت إلى الأبد. لا ترحم الإنسان العتيق لأنه لن يرحمك.

+ إذا قوي عليك الإنسان العتيق استخدم الحيلة: عندما دخل بعض الأشرار كنيسة

القيامة في زمن أنبا باخوم، واحتلوها و بدأوا يقيمون فيها عباداتهم بالنجاسة والزنا، استغاث أسقفها بأنبا باخوم، فهذا أرسل له نجدة من السواح الذين لهم قدرة على الدخول إلى الأماكن المغلقة دون أن يراهم أحد، فدخلوا داخل الهيكل ومعهم القرابين الطاهرة و بدأوا فجأة في إقامة القداس، فانزعج الأشرار وخرجوا بخوف ورعبة وتركوا الكنيسة لأسقفها.

هكذا إذا كان الشيطان قد احتال على جسدك العتيق وأقام منه هيكلاً لنجاساته وقفل على الروح في داخلك، استخدم الصلاة المسكينة والمنسحقة جداً لتكون هي بمثابة السواح، فتدخل الصلاة داخل روحك وتنعشها وتبدأ روحك تقدم القرابين الطاهرة من الداخل، أي تقدمة الدموع والتوبة والتوسل واللجاجة، وحينئذ تقوى الروح وتنتعش وتضغط على الجسد العتيق فتشل حركته وتبطل شهوته وتأسره، استمر في الصلاة بدون انقطاع ليل نهار بعناد وإصرار حتى تتحرر كنيسة القيامة داخل حياتك.

ــ «لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد.» (في٣:٣)

ــ «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨:١٣)

ــ «كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء.» (١ كو٩:٢٥)

ــ «أقمع جسدي وأستعبده.» (١ كو٩:٢٧)

+ حينما يظهر النور داخل قلبك و يكشف لك إنسانك العتيق بقبحه وشناعته وفجوره، سوف لا تطيق نفسك. لأنك ستراه أقبح مما كنت تظن أو تتصور ألف بل آلاف المرات.

+ سوف يأتي يوم تتأكد فيه تماماً أن كل معاملات الله القاسية معك وكل تأديبات

الروح القدس بما فيها من تخلية وإهمال ونسيان، وإخفاق متعمّد، وفشل ينادي فشلاً، وترك الشهوات عليك لإهانة نفسك وجسدك أمام عينيك، نعم، ترى أن كل هذه كانت هي هي الرحمة بعينها حتى تتيقظ من نوم الموت وغفلة الهلاك الأبدي، وكانت هي هي الحب الصادق المخلص ومنتهى الشفقة الأبوية، لأن بهذه الأمور كان يجذبك للخلاص، و يشهد ضدك كل يوم أنك لست حسب قلبه!! و يقنعك بالواقع العملي أنك لا تزال مرفوضاً!!

أنت تهمل وتتغافل وتنسى الصلاة، أما هو فلن يهمل تأديبك حتى تعود!!

ـ «كل من يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل آبن يقبله» (عب١٢: ٦)، فلا ترفض تأديب الرب.

«هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم آبن بطنها. حتى هؤلاء يَنْسين وأنا لا أنساكِ» (إش٤٩: ١٥)، بالتهذيب اليومي حتى تكمل قامتنا الروحية.

ـ «(عيني عليك) لا أهملك ولا أتركك» (عب١٣: ٥)، حتى تصير آبنا صالحاً كاملاً.

ـ «أنادي للمأسورين بالإطلاق» (لو٤: ١٨)، من سجنوا إنسانهم العتيق في دائرة خطايا وعادات وشهوات واهتمامات باطلة.

+ «قال هذا مشيراً إلى أية ميتة **كان مزمعاً أن يمجد الله بها. ولما قال هذا قال له آتبعني.**» (يو٢١: ١٩)

النفس موضوعة بين الجسد والروح، كما يقول مار إسحق، فهي إما تتحد مع الجسد وتتعاطف معه ضد الروح، وإما تتحد مع الروح وتتعاطف معه ضد الجسد. وهكذا تكون النفس إما جسدانية وإما روحانية. لأن الكتاب يقول إن «الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون.» (غل ٥: ١٧)

نحن مطالَبون أن نجعل النفس تنحاز للروح حتى يكون لها حياة أبدية. وإلا فإنها تهلك إذا انحازت للجسد، أي تُحرم من الحياة الأبدية.

الطبعة السادسة ٢٠٠١م

الثمن ٧٠ قرشاً

يُطلب من: دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ "أ" شارع شبرا ـ ت ٥٧٧٠٦١٤ الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء ـ